عاشوراء فضائل وأحكام

الحمدُ لله، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فلقد يسّر الله لعباده سبل الخير، وفتَح لهم أبواب البر، وأنعم عليهم بعباداتٍ لاكتساب الأجر، ورتّب سبحانه الأجر الجزيل على العمل اليسير، بكرمٍ منه وفضلٍ كبير، ومن مواسم الرحمة وفرص المغفرة "عاشوراء"، وهو اليوم العاشر من شهر المحرم، وفيما يلي نبذة موجزة عن تاريخه وفضله وأحكامه.

تاريخ عاشوراء:

روى البخاري عن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قدِم المدينة، فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء، فقال لهم: «ما هذا اليوم الذي تصومونه؟» فقالوا: "هذا يوم صالح، هذا يوم نجّى الله بني إسرائيل من عدوهم، فصامه موسى" قال ﷺ: «فأنا أحق بموسى منكم. فصامه وأمر بصيامه»، وفي رواية لمسلم: «هذا يوم عظيم، أنجى الله فيه موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكراً لله تعالى فنحن نصومه»، وفي رواية لأحمد: «وهو اليوم الذي استوت فيه السفينة على الجودي فصامه نوح شكراً».

ويوم عاشوراء كان معروفاً ومعظّماً حتى أيام الجاهلية قبل البعثة النبوية، فقد ثبت عن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: "إن أهل الجاهلية كانوا يصومونه". قال القرطبي: "لعل قريشاً كانوا يستندون في صومه إلى شرع من مضى كإبراهيم عليه السلام".

فضل صيام عاشوراء:

عن ابن عباس ﷺ أنه قال: "ما رأيت النبي ﷺ يتحرَّى صيام يوم فضَّله على غيره إلا هذا اليوم "يوم عاشوراء" [رواه البخاري]، كما جاء بيان فضل صيام هذا اليوم في حديث أبي قتادة ﷺ عن النبي ﷺ أنه سُئل عن صوم عاشوراء، فقال: «يكفِّر السنة الماضية» وفي رواية: «صيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله» [رواه مسلم]، قال البيهقي: "وهذا فيمن صادف صومه وله سيئات يحتاج إلى ما يكفِّرها؛ فإن صادف صومه وقد كُفِّرت سيئاته بغيره انقلبت زيادة في درجاته، وبالله التوفيق" [فضائل الأوقات].

ولِمَا عُرف من فضله وفضل صومه، فقد كان للسلف حرصٌ كبير على إدراكه، حتى كان بعضهم يصومه في السفر؛ خشية فواته، ونص أحمد على أنه يُصام في السفر.

حكم صيام يوم عاشوراء:

كان النبي ﷺ يصوم عاشوراء بمكة، ولا يأمر الناس بصومه، فلما قدم المدينة وجد اليهود يصومونه، فصامه وأمر الناس بصيامه، حتى أمر من أكل في ذلك اليوم أن يُمسك بقية يومه.

وعندما فُرض رمضان في السنة الثانية للهجرة نُسخَ وجوب صوم عاشوراء وصار مستحباً، ويشهد لهذا حديث عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: "كانت قريش تصوم

عاشوراء في الجاهلية، وكان رسول الله ﷺ يصومه، فلما هاجر إلى المدينة، صامه وأمر بصيامه، فلما فرض شهر رمضان قال «من شاء صامه، ومن شاء تركه»" [متفق عليه].

مخالفة اليهود في صوم عاشوراء:

في بادئ الأمر كان النبي ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء، ثم أُمره الله عزَّ وجلَّ بمخالفتهم، ونُهاه عن موافقتهم، فعزم ﷺ على أن لا يصوم عاشوراء مفرداً، فكانت مخالفته لهم في ترك إفراد عاشوراء بالصوم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "حين صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء، وأمر بصيامه، قالوا: إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى! فقال رسول الله ﷺ: «فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع» قال: "فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ" [رواه مسلم]، والمراد أنه عزم على صوم التاسع مع العاشر في العام المقبل.

ويشهد لذلك ما رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال ﷺ: «صوموا التاسع والعاشر، وخالفوا اليهود» وبهذا الحديث يقول الشافعي وأحمد وإسحق [صحيح الإسناد].

وفي مخالفة الكفار في صيام عاشوراء درسٌ عظيم في تحقيق البراء من الكافرين، وعدم موافقتهم، قال النبي ﷺ: «من تشبّه بقوم فهو منهم» [صحيح، رواه أبو داود].

ويظهر مما تقدم أن الذي عزم على فعله النبي ﷺ هو صوم التاسع والعاشر، لكن من أهل العلم من قال بمشروعية صيام الحادي عشر لمن لم يصم التاسع، لتحصل له مخالفة اليهود التي قصد إليها النبي ﷺ؛ وأيضًا خشية فوات العاشر.

بدع الناس في عاشوراء:

الناظر في أفعال الناس في عاشوراء يرى أنها على صور:

أ – ما كان منها في باب العبادات: حيث خصوا هذا اليوم ببعض العبادات كقيام ليلة عاشوراء، وزيارة القبور فيه، والصدقة، وتقديم الزكاة أو تأخيرها عن وقتها لتقع في يوم عاشوراء، وقراءة سورة فيها ذكر موسى... فهذه ونحوها من البدع.

ب – ما كان من باب العادات: التي تمارس في عاشوراء تشبيهاً له بالعيد، ومن ذلك الاغتسال، والاكتحال، واستعمال البخور، والتوسع في المآكل والمشارب، وطحن الحبوب، وطبخ الطعام المخصوص، والذبح لأجل اللحم، وإظهار البهجة والسرور... وهذه في أصلها نشأت وظهرت كرد فعل لمآتم الرافضة، فكان من الناصبة أن أظهروا الشماتة والفرح، وابتدعوا فيه أشياء ليست من الدين، فوقعوا في التشبه باليهود الذين يتخذونه عيدا!

ج – أما ما يفعله الرافضة المشركون؛ فهذا من الكفر البواح والشرك الصراح، أخزاهم الله وأذلهم وأهانهم ومكّن المجاهدين من رقابهم..

وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين